شرح الصدور

بشرح حال الموتى والقبور

297.23
ش ي و

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي
المتوفى سنة ٩١١هـ

الناشر
دار المدنى
للطباعة والنشر والتوزيع
جدة - ص . ب : ١٨٤٨٥ ت : ٦٤٣٢٣٦٢

رقم الإيداع ٤٢٢٢ / ١٩٨٥

مطبعة المدنى
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة ت : ٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَادِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [سورة الفجر : ٢٧ – ٣٠] .

* * *

تصديـــر

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاما على نبيه محمد خير المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فهذا كتاب « شرح الصدور بأحوال الموتى والقبور » لمؤلفه جلال الدين السيوطى ، وهو العالم المفسر الحجة ، الحافظ ، الفقيه ، الأديب ، النحوى ، المؤرخ صاحب المؤلفات التى أربت على الخمسمائة ، المولود فى مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ بالقاهرة ، والمتوفى فى ١٨ من جمادى الأولىٰ سنة ٩١١ هـ بالقاهرة أيضا .

قضى السيوطى عمره المبارك فى التدريس والتأليف ، ثم أعتزل الناس ووهب حياته للعلم فى قصره زاهدا عابدا ، معتزا بالله ، متعففا عما فى أيدى الأمراء والسلاطين ، لا يرى الاستنصار إلّا بالواحد القهار .

وقد نشأ وعاش فى عصر ازدهار الثقافة العربية ، ونهل من منابع العلم والعرفان ، كما أخذ عن شيوخ عصره ، وتزوّد من الكتب حتى لقّب بـ « ابن الكتب » .

وصارت له مؤلفات منها موسوعات حفظت لنا علوم السلف ، والتزمت السنة المطهرة ، وتبعت هداية الصالحين : فمن التفسير بالمأثور ، إلى جمع الحديث وتخريجه وبيان الجرح والتعديل ، إلى شروحه على الكتب الستة ، إلى طبقات المفسرين والحفّاظ والنحاة واللغويين ، إلى التأريخ للخلفاء والصحابة وسِيَرَ المسلمين فأصبحت كتبه على مدى العصور كنوزاً حفظت تراث العرب ، وعوضتنا عما فقد منها بتصاريف الأحداث .

ومؤلفات السيوطى فيها استيفاء واستقصاء بجانب العجائب والغرائب ، وهو فيها أمين يعزو كل قول إلى صاحبه ، ويوجز المطول ، ويزيد المختصَر ، ويجمع المتفرق . وبين هذا وذاك يدلى بالرأى الواضح والحجة القوية الثابتة ، والرد المستنير .

ومن مؤلفات السيوطى كتب عن الملائكة والجن ، وعن العالم الآخر ، ومن بينها كتابه

هذا « شرح الصدورّ » الذى اختصره فى كتاب « بشرى الكئيب بلقاء الحبيب » و « الفوز العظيم بلقاء الكريم » ومنها أرجوزته « التثبيت عند التبييت » فى فتنة القبر ، وكتاب « البدور السافرة فى أمور الآخرة » و « الدرر الحسان فى البعث ونعيم الجنان » ورسالة « بيان الأرواح بعد الموت » و « سلوة الفؤاد فى موت الأولاد » و « برد الأكباد عند فقد الأولاد » و « فضائل الجلد عند فقد الولد » كما تكلم عن حياة الأنبياء فى قبورهم فى كتابه « إنباء الأذكياء فى حياة الأنبياء » .

أما خلاصة هذا جميعه فهو كتابه « **شرح الصدور فى أحوال الموتى والقبور** » ، وفيه يبين للمسلم ماهو قضاء وحق وباب للآخرة ، فيجعله يتقبل نهايته منشرح الصدر ، محسنا ظنه بخالقه وهو يفارق دنياه بمن فيها من آل وصحاب ، وما فيها من مال ومتاع ، وحيدًا حرًّا لا يملك ولا يُملك ، فيكون بين يدى ربِّه ليس معه إلَّا عمله .

ثم هو كتاب عظة واعتبار ، يحثنا على إحسان العمل فى الدنيا ، وصرف النفس عن الشرور ، وكفِّ اليد واللسان عن الظلم ، والاستعداد بالحسنات والبعد عن الشهوات ، كما أنه تَذْكِرَةٌ بأحوال الموتىٰ ، استعدادًا للتحول عن دار الفناء إلى دار البقاء ، وفيه إلى ذلك مما يقال عند الاحتضار ، حرصاً على التوحيد والموت على الإسلام ، وبيان حال الموتىٰ ومايلاقونه فى القبور ، وما يحاسبون عليه وما يجازون به ، ومقر الروح وحياتها فى البرزخ ، فالصالحون تخرج أرواحهم مطمئنة ، مبشَّرة ، مستبشِرة ، ونحن – الأحياءَ إلى حين – ليس علينا : إلَّا أن ندعوَ لهم بالرحمة والمغفرة ، ونقرأ من القرآن ، أو نتصدق مما تركوا ، أو ننشر علمهم نفعاً للناس .

وهذا كله يؤيده السيوطى مستدلًّا بالقرآن الكريم وأحاديث خاتم النبين ، مُخَرِّجًا كل حديث – وبأقوال الصحابة والتابعين والعباد والزاهدين مسندا كل قول إلى صاحبه ومصدره ، بَاحِثاً كل مسألة ، جامعا للفوائد ، مُجيبا عن كل تساؤل حول موضوع الموتىٰ والقبور .

رحم الله مؤلفه ، ورحم موتانا وإخواننا الذين سبقونا ، وغفر لنا ولهم وللمسلمين .

اللهم بشرنا بجنتك ، وثبتنا عند لقائك ، وقربنا منك فى روح وريحان وجنة نعيم ، إنك أنت العزيز العليم . ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِين لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص : ٤٩] صدق الله العظيم .

القاهرة فى ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٤٠٥ هـ
٥ من سبتمبر سنة ١٩٨٥ م

أحمد حمدى إمام

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي أيقظ من شاء من سنة الغفلة . ورفع من أحب لقاءه إلى عليين . ووضع عنه أوزاره وثقله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عليها من رداء الاخلاص حله . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بأشرف ملة . المخصوص بأكرم خله . ﷺ وعلى آله وأصحابه السادة الجلة .

هذا ما اشتد تشوف النفوس إليه من كتاب شاف علم البرزخ أذكر فيه الموت وفضله ، وكيفيته ، وصفة ملك الموت ، وأعوانه ، وما يرد على الميت عند الاحتضار ، وحال الروح بعد مفارقة البدن ، وصعودها إلى الله تعالى ، واجتماعها بالأرواح ، ومقرها بعد ذلك ، وحال القبر وضمته ، وفتنته ، وعذابه ، وضيقه ، وما ينفع فيه مستوعباً شرح كل ذلك ، من حين يبدأ في مرض الموت ، إلى حين ينفخ في الصور ، ناقلاً له من الأحاديث المرفوعة ، والآثار الموقوفة ، والمقطوعة ، متتبعاً لذلك من كتب الحديث ، معتمداً كلام أئمة الحديث في ذلك ، محرراً ما وقع من ذلك في تذكرة القرطبي بالتنقيح ، والتخريج ، مع زوائد جمة لم تقع في كتابه ، وسميته : (شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور) ، وأرجو إن كان في الأجل فسحة ، أن أضم إليه كتاباً إن شاء الله تعالى في أشراط الساعة ، وآخر في أحوال البعث ، والقيامة ، وصفة الجنة والنار ، على وجه الاستيعاب أيضاً ، حقق الله ذلك بمنه وكرمه .

(أخرج) أبو نعيم ، عن مجاهد ، في قوله تعالى : ﴿ومِنْ ورائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يومِ يُبْعَثُونَ﴾[1] . قال : ما بين الموت إلى البعث .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١٠٠ .

باب بدء الموت

قال ابن أبي شيبة في المصنف ، والامام أحمد في الزهد معاً ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حبيب ابن الشهيد ، عن الحسن ، قال: لما خلق الله تعالى آدم وذريته، قالت الملائكة : ان الإرض لاتسعهم، فقال : إني جاعل موتاً . قالوا : إذا لا يهنأ لهم العيش . قال : إني جاعل أملاً .

وأخرج أبو نعيم في الحلية ، عن مجاهد ، قال : لما هبط آدم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض ، قال له ربه : ابن للخراب ، ولد للفناء .

باب النهي عن تمني الموت والدعاء به لضر ينزل به في المال والجسد

أخرج الشيخان ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ،وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي».

وأخرج مسلم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت ،ولا يدع به من قبل أن يأتيه، أنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وأنه لا يزيد المؤمن من عمره إلا خيراً » .

وأخرج البخاري ، والنسائي ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت ، إما محسناً فلعله أن يزداد ، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب » . قال في الصحاح : أعتبني فلان إذا عاد إلى مسرتي راجعاً عن الإساءة ، واستعتب وأعتب بمعنى واحد .

وأخرج أحمد ، والبزار ، وأبو يعلى ، والحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ :

لا تمنوا الموت ، فإن هول المطلع شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر المرء حتى يرزقه الله الانابة» قال في النهاية المطلع بالتشديد مكان الاطلاع من موضع عال ، والمراد بـــه ههنا ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت ، تشبيهاً بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال .

وأخرج الشيخان عن أنس ، قال : لولا أن رسول الله ﷺ ، نهانا أن نتمنى الموت ، لتمنيناه .

وأخرج البخاري ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات ، فقال : لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت ، لدعوت به .

وأخرج المروزي ، عن القاسم مولى معاوية : أن سعد بن أبي وقاص تمنى الموت،ورسول الله ﷺ ، يسمع، فقال رسول الله ﷺ : « لا تتمن الموت ، فإن كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك ، وإن كنت من أهل النار فما يعجلك إليها » .

وأخرج الخطيب في تاريخه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ : « لا يتمن أحدكم الموت ، فإنه لا يدري ماذا قدم لنفسه » .

وأخرج أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني ، والحاكم، عن أم الفضل ، أن رسول الله ﷺ ، دخل عليهم وعمه العباس يشتكي ، فتمنى الموت ، فقال له : « يا عم لا تتمن الموت ، فإنك إن كنت محسناً فإن توخر وتزداد إحساناً إلى إحسانك خير لك ، وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر وتستعتب من إساءتك خير لك ، فلا تتمنين الموت » .

وأخرج أحمد ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال : «لا يتمنين أحدكم الموت من قبل أن يأتيه ، ولا يدع به إلا أن يكون قد وثق بعمله » .

باب فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى

وأخرج أحمد ، والترمذي ، وصححه الحاكم ، عن أبي بكرة، أن رجلاً قال يا رسول الله ! أي الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » قال : فأي الناس شر ؟ قال : « من طال عمره وساء عمله » .

وأخرج الحاكم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم عملاً » .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً » .

وأخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال : « ألا أنبئكم بخياركم » قالوا: بلى يا رسول الله. قال « أطولكم أعماراً في الإسلام إذا سددوا » .

وأخرج أيضاً عن عوف بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلما طال عمر المسلم كان له خيراً » .

وأخرج أحمد وابن زنجويه في ترغيبه ، عن أبي هريرة قال : كان رجلان من حي من قضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ ، فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة . قال طلحة بن عبيد الله فرأيت الجنة ورأيت المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد ، فعجبت من ذلك فأصبحت ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة » .

وأخرج أحمد والبزار عن طلحة أن النبي ﷺ قال: «ليس أحدأفضل عند الله تعالى من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله » .

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال : إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة لأداء الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن أبي عبدة قال : بلغني أن

المؤمن إذا مات تمنى الرجعةإلى الدنيا الرجعة ليس ذلك إلا ليكبر تكبيرة أو يهلل تهليلة أو يسبح تسبيحة .

باب جواز تمني الموت والدعاء به لخوف الفتنة في الدين

أخرج مالك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه» .

وأخرج مالك والبزار عن ثوبان أن النبي ﷺ قال : «أللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بالناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون» .

وأخرج مالك عن عمر رضي الله عنه أنه قال : اللهم قد ضعفت قوتي وكبر سني وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر ، فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض .

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد والمروري في الجنائز ، وأحمد في مسنده والطبراني في الكبير ، عن عليم الكندي قال : كنت مع أبي عبس الغفاري على سطح ، فرأى قوماً يتحملون من الطاعون فقال : يا طاعون خذني إليك ثلاثاً يقولها، فقال له عليم: لِم تقول هذا، ألم يقل رسول الله ﷺ : «لا يتمنى أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطع عمله ولا يرد فيستعتب» ، قال : فقال أبو عبس : أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بادروا بالموت ستاً أمرة السفهاء ، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافاً بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقهاً» قال في الصحاح تحمل بمعنى ارتحل .

وأخرج الحاكم عن الحسن قال : قال الحكم بن عمرو : يا طاعون خذني إليك فقيل له: لم تقول هذا وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتمنين أحدكم الموت» قال قد سمعت ما سمعتم ولكني أبادر ستاً بيع الحكم ، وكثرة الشرط ، وإمارة الصبيان ، وسفك الدماء ، وقطيعة الرحم ، ونشوا يكونون في آخر الزمان قراء يتخذون القرآن مزامير .

وأخرج ابن سعد في الطبقات ، عن حبيب بن أبي فضالة أن أبا هريرة ذكر الموت ، فكأنه تمناه فقال بعض أصحابه : وكيف نتمنى الموت بعد قول رسول الله ﷺ : «ليس لأحد أن يتمنى الموت لا بر ولا فاجر أما بر فيزداد براً وأما فاجر فيستعتب» فقال وكيف لا أتمنى الموت ، وأنا أخاف أن تدركني ستة : التهاون بالذنب ، وبيع الحكم ، وتقاطع الأرحام ، وكثرة الشرط ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير .

وأخرج الطبراني، عن عمرو بن عبسة، عن رسول الله ﷺ قال : «لا يتمنى أحدكم الموت إلا أن يثق بعمله فإن رأيتم في الإسلام ست خصال فتمنوا الموت وإن كانت نفسك في يدك ، فأرسلها إضاعة الدم وأمارة الصبيان وكثرة الشرط وإمارة السفهاء وبيع الحكم ونشوا يتخذون القرآن مزامير» .

وأخرج أبو نعيم، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء أحب إلى المؤمن من خروج نفسه» .

وأخرج بن أبي الدنيا ، عن سفيان قال : يأتي على الناس زمان يكون الموت فيه أحب إلى قراءة ذلك الزمان من الذهب الأحمر .

وأخرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «يوشك أن يكون الموت أحب إلى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه» .

وأخرج عن أبي ذر، قال : ليأتين على الناس زمان تمر الجنازة فيهم، فيقول الرجل ليتني إني مكانها .

وأخرج ابن سعد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال: مرض أبو هريرة ، فأتيت أعوده ، فقلت : اللهم اشف أبا هريرة، فقال : اللهم لا ترجعها، وقال: يوشك يا أبا سلمة أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر، ويوشك يا أبا سلمة إن بقيت إلى قريب أن يأتي الرجل القبر فيقول : يا ليتني مكانك .

وأخرج المروزي في الجنائز ، عن مرّة الهمداني قال : تمنى عبد الله لنفسه ولأهله الموت ، فقيل له إنك تمنيت لأهلك ، فلم تتمناه لنفسك ،

فقال لو أني أعلم أنكم تسلمون على حالتكم هذه لتمنيت أن أعيش فيكم عشرين سنة .

وأخرج عن أبي عثمان قال : بينما بن مسعود ذات يوم في صفة له وتحته فلانة وفلانة امرأتان له ذاتا منصب وجمال ، وله منهما ولـد كأحسن الولد إذ شقشق على رأسه عصفور ، ثم قذف داء بطنه فنكته بيده ، ثم قال : لأن يموت آل عبد الله ثم يتبعهم أحب إلي من أن يموت هذا العصفور الشقشقة بمعجمتين وقافين صوت العصفور وهديره .

وأخرج عن قيس قال : كان صبيان لعبد الله يشتدون بين يديه فقال : ترون هؤلاء لهم أهون علي موتاً من عدتهم من الجعلان . (الجعلان) بكسر الجيم جمع جُعَل بضمها وهي دويبة .

وأخرج عن الحسن قال : كان في مصركم هذا رجل عابد ، فخرج من المسجد ، فلما وضع رجله في الركاب أتاه ملك الموت فقال له : مرحباً لقد كنت إليك بالأشواق فقبض روحه .

وأخرج ابن سعد في الطبقات ، والمروزي ، عن خالد بن معدان قال : ما من دابة في بر ولا بحر يسرني أن تفديني من الموت ، ولو كان الموت علماً يستبق الناس إليه ما سبقني إليه أحد إلا رجل يغلبني بفضل قوته .

وأخرج أبو نعيم عنه قال : والله لو كان الموت في مكان موضوعاً لكنت أول من يسبق إليه .

وأخرج عن عبد ربه بن صالح أنه دخل على مكحول في مرض موته، فقال له: عافاك الله. فقال : كلا للحوق بمن يرجى عفوه خير من البقاء مع من لا يؤمن شره شياطين الانس ، وإبليس وجنوده .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه ، عن أبي مسهر قال : سمعت رجلاً يقول لسعيد بن عبد العزيز التنوخي : أطال الله بقاءك ، فغضب ، فقال : بل عجل الله بي لى رحمته .

وأخرج أبو نعيم عن عبيدة بن المهاجر قال : لو قيل من مس هذا العود مات لقمت حتى أمسه .

وأخرج عن أبي عبد الله الصنابحي قال : الدنيا تدعو إلى فتنة والشيطان إلى خطيئة ولقاء الله خير من الإقامة معهما .

وأخرج بن أبي الدنيا عن عمرو بن ميمون أنه كان لا يتمنى الموت قال : إني أصلي كل يوم كذا وكذا صلاة ، حتى أرسل إليه يزيد بن مسلم ، فتعنته ولقي منه فكان يقول : اللهم ألحقني بالأخيار ولا تخلفني مع الأشرار .

وأخرج عن أم الدرداء قالت : كان أبو الدرداء إذا مات الرجل على الحال الصالحة قال هنيئاً لك يا ليتني كنت مكانك ، فقالت أم الدرداء له في ذلك فقال : هل تعلمين يا حمقاء أن الرجل يصبح مؤمناً ويمسي منافقاً يسلب إيمانه وهو لا يشعر ، فانا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام .

وأخرج بن أبي شيبة في المصنف ، وابن أبي الدنيا عن أبي جحيفة قال : ما من نفس تسرني أن تفديني من الموت ولا نفس ذباب .

وأخرج بن أبي الدنيا الخطيب بن عساكر ، عن أبي بكرة الصحابي رضي الله عنهم قال : والله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي هذه ولا نفس هذا الذباب الطائر ، ففزع القوم فقالوا : لم قال أخاف أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر فيه بمعروف ولا أنهى عن منكر وما خير يومئذ .

وأخرج بن أبي شيبة في المصنف ، وابن سعد ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة أنه مر به رجل فقال له : أين تريد ؟ قال : السوق . قال : إن استطعت أن تشتري لي الموت قبل أن ترجع فافعل .

وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير ، وابن عساكر من طريق عروة بن رويم عن العرباض بن سارية ، وكان شيخاً من أصحاب النبي ﷺ ، وكان يحب أن يقبض فكان يدعو اللهم كبرت سني ووهن

عظمي فاقبضْني إليك . قال : فبينما أنا يوماً في مسجد دمشق ، وأنا أصلي وأدعو أن أقبض ، فإذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه دواجن أخضر ، فقال : ما هذا الذي تدعو به ؟ قلت : وكيف أدعو يا ابن أخي ؟ قال : قل اللهم حسن العمل وافسح الأجل ، قلت : من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رفاييل الذي يستل الحزن من صدور المؤمنين،ثم التفت فلم أر أحداً . (الدواج) الذي يلبس ضبطه الصغاني في الشوارد نقلاً عن أبي حاتم السجستاني بضم الدال والواو مشددة أو مخففة .

باب فضل الموت

قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقة وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار .

وأخرج أبو الشيخ في تفسيره وأبو نعيم عن بلال بن سعد أنه قال في وعظه ، يا أهل الخلود ، ويا أهل البقاء : إنكم لم تخلقوا للفناء ، وإنما خلقتم للخلود والأبد ، وإنكم تنقلون من دار إلى دار .

وأخرج الطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك عن عمر بن عبدِ العزيز أنه قال : إنما خلقتم للأبد والبقاء ، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار .

وأخرج الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير ، وابن المبارك في الزهد ، والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « تحفة المؤمن الموت » .

وأخرج الديلمي في مسنده الفردوس من حديث جابر مثله .

وأخرج أيضاً عن الحسين بن علي أن رسول الله ﷺ قال : « الموت ريحانة المؤمن » .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان ، وضعفه ، والديلمي أيضاً عن

عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الموت غنيمة، والمعصية مصيبة، والفقر راحة، والغنى عقوبة، والعقل هدية من الله تعالى، والجهل ضلالة، والظلم ندامة، والطاعة قرة العين، والبكاء من خشية الله النجاة من النار، والضحك هلاك البدن، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وأخرج أحمد وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح، عن محمود ابن لبيد أن النبي ﷺ قال: «اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب».

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن زرعة بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «يحب الإنسان الحياه والموت خير لنفسه، ويحب الإنسان كثرة المال وقلة المال أقل لحسابه» مرسل.

وأخرج الشيخان عن أبي قتادة قال: مر على النبي ﷺ بجنازة فقال «مستريح ومستراح منه» قالوا يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ فقال: «العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والفاجر تستريح منه البلاد والعباد والشجر والدواب».

وأخرج ابن أبي شيبة عن يزيد بن أبي زياد قال: مروا بجنازة على أبي جحيفة، فقال استراح واستريح منه.

وأخرج ابن المبارك والطبراني، عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال «الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة». (السنة) بفتح أوله القحط والجدب.

وأخرج بن المبارك عن عبد الله بن عمرو قال: إن الدنيا جنة الكافر، وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن، فأخرج منه، فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها.

وأخرج بن أبي شيبة في المصنف عن عبد الله بن عمرو قال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فإذا مات المؤمن يخلى سربه يسرح في الجنة حيث شاء. (السرب) هنا بفتح أوله الطريق كما في الصحاح.

وأخرج أبو نعيم عن بن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «يا أبا ذر ! الدنيا سجن المؤمن ، والقبر أمنه ، والجنة مصيره يا أباذر ! الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره » .

وأخرج النسائي والطبراني وابن أبي الدنيا ، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : « ما على وجه الأرض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله له » .

وأخرج بن أبي شيبة في المصنف ، والمروزي في الجنائز ، والطبراني عن بن مسعود قال : ذهب صفو الدنيا لم يبق إلا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم .

وأخرج المروزي وابن أبي الدنيا ، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال : حبذا المكروهات الثلاث ، الموت الفقر والمرض .

وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن طاؤس قال : لا يحرز دين المرء إلا حفرته .

وأخرج ابن المبارك في الزهد ، وابن أبي شيبة والمروزي عن الربيع ابن خثيم قال ما من غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن مالك بن مغول قال : بلغني أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت لما يرى من كرامة الله وثوابه .

وأخرج أحمد في الزهد ، وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال : ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله .

وأخرج سعد بن منصور وابن جرير ، عن أبي الدرداء قال : ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، فمن لم يصدقني فإن الله يقول (وما عند الله خير للأبرار) ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم﴾ [1] الآية .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٨ .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، وعبد الرزاق في تفسيره ، والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة ، فإن كان براً فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للأبرار ، وإن كان فاجراً فقد قال الله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم﴾ الآية .

وأخرج ابن المبارك وأحمد في الزهد ، عن حبان بن أبي جبلة أن أبا الدرداء قال : تلدون للموت ، وتعمرون للخراب ، وتحرصون على ما يفنى ، وتذرون ما يبقى إلا حبذا المكروهات الثلاث الموت والمرض والفقر .

وأخرج أحمد في الزهد ، عن ابن مسعود قال ألا حبذا المكروهات الموت والمرض والفقر .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن جعفر الأحمر قال : من لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة .

وأخرج ابن سعد في الطبقات ، والبيهقي في الشعب ، عن أبي الدرداء قال : أحب الفقر تواضعاً لربي ، وأحب الموت اشتياقاً لربي ، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي .

وأخرج ابن سعد ، وابن أبي شيبة ، وأحمد في الزهد ، عن أبي الدرداء أنه قيل له : ما تحب لمن تحب؟ قال : الموت . قالوا : فإن لم يمت ؟ قال : يقل ماله وولده .

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت قال : أتمنى لحبيبي أن يقل ماله ويعجل موته .

وأخرج أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء قال : ما أهدي إلى أخ لي هدية أحب إلي من السلام ، ولا بلغني عنه خير أعجب إلي من موته .

وأخرج ابن أبي الدنيا ، عن محمد بن عبد العزيز التيمي قال : قيل

لعبد الأعلى التيمي ما تشتهي لنفسك ولمن تحب من أهلك؟ قال : الموت .

وأخرج الطبراني ، عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ « اللهم حبب الموت إلى من يعلم أني رسولك » .

وأخرج أحمد : أن ملك الموت جاء إلى ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه ليقبض روحه ، فقال إبراهيم : يا ملك الموت! هل رأيت خليلاً يقبض روح خليله؟ فعرج ملك الموت إلى ربه؟ فقال : قل له هل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله؟ فرجع قال : فاقبض روحي الساعة .

وأخرج الأصبهاني في الترغيب ، عن أنس أن النبي ﷺ قال له « إن حفظت وصيّي فلا يكونن شيء أحب إليك من الموت » .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة ، وقال سهل ابن عبد الله التستري : لا يتمنى الموت إلا ثلاثة : رجل جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله ، أو مشتاق محب للقاء الله . وقال حيان بن الأسود : الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب . وقال أبو عثمان : علامة الشوق حب الموت مع الراحة . وقال بعضهم : إن المشتاقين يحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهد .

وأخرج ابن عساكر ، عن ذي النون المصري قال : الشوق أعلى المقامات وأعلى الدرجات إذا بلغها العبد استبطأ الموت شوقاً إلى ربه وحباً للقائه والنظر إليه .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عتبة الخولاني الصحابي رضي الله عنه أنه قيل له : إن عبد الله بن عبد الملك خرج هارباً من الطاعون ، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ما كنت أرى أني أبقى حتى أسمع بمثل هذا أفلا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم أو لها لقاء الله تعالى كان أحب إليهم من الشهد ، والثانية لم يكونوا يخافون عدواً قلوا أو كثروا ، والثالثة

لم يكونوا يخافون عوزاً من الدنيا كانوا واثقين بالله أن يرزقهم ، والرابعة أن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضي الله فيهم ما قضى .

وأخرج أبو نعيم في الحلية ، عن ابن عبد ربه أنه قال لمكحول أتحب الجنة ؟ قال : ومن لا يحب الجنة . قال : فاحبب الموت فإنك لن ترى الجنة حتى تموت .

وأخرج عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن عبد الله بن أبي زكريا كان يقول : لو خيرت بين أن أعمر مائة سنة في طاعة الله ، وأن أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض في يومي هذا أو في ساعتي هذه شوقاً إلى الله وإلى رسوله وإلى الصالحين من عباده .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في تاريخه عن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا عبد الله النباجي يقول : لو خيرت بين أن تكون لي الدنيا منذ يوم خلقت أتنعم فيها حلالاً لا أسئل عنها يوم القيامة ، وبين أن تخرج نفسي الساعة لاخترت أن تخرج نفسي الساعة ، أما تحب أن تلقى من تطيع .

وأخرج أبو نعيم والبيهقي في شعب الإيمان ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الموت كفارة لكل مسلم » صححه ابن العربي ، قال القرطبي : وذلك لما يلقاه الميت فيه من الآلام والأوجاع . وقد قال رسول الله ﷺ « ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها من سيئاته فما ظنك بالموت الذي سكرة من سكراته أشد من ثلثمائة ضربة بالسيف » .

وأخرج ابن المبارك في الزهد ، وابن أبي الدنيا عن مسروق قال ما غبطت شيئاً بشيء كمؤمن في لحده قد أمن من عذاب الله ، واستراح من أذى الدنيا .

وأخرج ابن أبي شيبة بلفظ ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله .

وأخرج ابن المبارك عن الهيثم بن مالك قال : كنا نتحدث عند أيفع ابن عبدة ، وعنده أبو عطية المذبوح ، فتذاكروا النعيم فقال : من أنعم الناس ؟ قالوا فلان وفلان ، فقال أيفع ما تقول يا أبا عطية ؟ قال : أنا أخبركم عمن هو أنعم منه جسد في لحد قد أمن العذاب .

وأخرج عن محارب بن دثار قال قال لي خيثمة : أيسرك الموت ؟ قلت : لا . قال : ما أعلم أحداً لا يسره الموت إلا منقوص .

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد بلفظ فقال : إن هذا بك لنقص كبير .

وأخرج ابن المبارك عن أبي عبد الرحمن أن رجلاً قال في مجلس أبي الأعور السلمي : والله ما خلق الله شيئاً أحب إلي من الموت ، فقال أبو الأعور : لأن أكون مثلك أحب إلي من حمر النعم .

وأخرج ابن أبي الدنيا ، عن صفوان بن سليم قال : في الموت راحة للمؤمن من شدائد الدنيا ، وإن كان الموت ذا غصص وكرب .

وأخرج عن محمد بن زياد قال : حدثت عن بعض الحكماء أنه قال للموت أهون على العاقل من زلة عالم غافل .

وأخرج عن سفيان قال : كان يقال الموت راحة العابد .

باب ذكر الموت والاستعداد له

أخرج الترمذي ، وحسنه والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت » .

وأخرج أبو نعيم من حديث عمر بن الخطاب مثله .

وأخرج البزار ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « أكثروا ذكر هاذم اللذات ، فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ، ولا في سعة إلا ضيقه عليه » .